الصَّيد كرمز للظُّلم والصَّبر في عالم "تحكموني" ليهودا الحريزي وخلفيَّة هٰذِهِ الأوصاف في الشِّعر العربيّ

(الجزء الأول)

يوسف طوبي*

أ- مقدِّمة

إنَّ الثِّمار الأولى للصِّلة المباشرة بين الشِّعر العبريّ والشِّعر العربيّ، نتجت فقط في منتصف القرن العاشر الميلاديّ، عندما كان الشِّعْر العَرَبِيّ في أوجه في الفترة العبَّاسيَّة، بداية في العراق ومن ثُمَّ في الأندلس. هٰذِهِ الحقيقة، إلى جانب أخرى، قرَّرت لأجيال بعدها مميِّزات الشِّعْر العبريّ في إسبانيا الَّتي مالت إلى الأسلوب الرَّقيق للشِّعر العربيّ، كما صيغت في الفترة العبَّاسيَّة والأندلسيَّة قياسًا لمميِّزاتها القتاليَّة والصَّحراويَّة في الفترة الجاهليَّة. أمَّا شموئيل هنجيد (993-1056م)، فهو الوحيد من بين شعراء الأندلس الَّذي نجد في شعره عن "الحماسة" (البطولة والحرب). إضافة إلى تأثُّره بشعر المتنبّي (ت965م) الَّذي عاش قبله بجيل، أكثر مِمَّا تأثَّر من شعر البطولة الجاهليّ[1].

لا حاجة للقول إنَّ الشِّعْر العبريَّ في إسبانيا النَّصرانيَّة كان بعيدًا عن كلِّ مظاهر الحياة الجاهليَّة وَكَذٰلِكَ عن الشِّعْر الَّذي مثّلها[2]. وهنا وبشكل مفاجئ نجد في "تحكموني" كتاب يهودا الحريزي، الَّذي وُلد وعاش في طليطلة بعدما احتلَّها النَّصارى ثُمَّ هاجر إلى الشَّرق (1165-1125م)، عدّة موضوعات معروفة في الأدب العربيّ، مثل: سبعة أبواب عمود الشِّعْر الَّتي صاغها المرزوقيُّ في مقدِّمته لـ"حماسة" أبي تمّام في الباب الثَّامن عشر[3]. وَلٰكِنَّ الأكثر مفاجأة هو استيعاب معان أو موضوعات وآراء معروفة من الشِّعْر العَرَبِيّ الجاهليّ، أو من بداية الفترة

---

* أكاديمية القاسمي.

[1] انظر: لفين 1968؛ طوبي 2000، ص202؛ طوبي 2003.

[2] انظر: شيرمان - فلايشر 1997.

[3] انظر: طوبي 2000، ص271-282.

الإسلاميَّة الَّتي استمرَّ فيها الشِّعْر بقوَّة حسب التَّقليد الجاهليّ[1]، هٰذِهِ المواضيع، مثل الحرب والصَّيد لم يقلِّدها شعراء الأندلس اليهود، سواء كان في الفترة الأندلسيَّة أو النَّصرانيَّة معًا. لِذٰلِكَ سنبحث في "دفتر" الصَّيد فقط، ليس عندما يكون القصد فقط الوقوف على معانيها من خلال ما قيل، وإنَّما بهدف أوسع، وهو المقارنة مع الأدب العَرَبِيّ. إنَّ الحاجة للبحث في هٰذا المجال نابعة من كون الصَّيد لا ينعكس في مقامات الهمذانيّ والحريريّ، الإنتاج الأدبيّ الَّذي كان نموذجًا احتذاه الحريزيّ، وحتَّى أَنَّهُ قام بترجمة مقامات الحريريّ تحت عنوان "دفاتر إتيئيل"، حيث أعطاها الصِّبغة العِبْرِيَّة التَّوراتيَّة[2]. هٰذِهِ الدَّفاتر تمّ بحثها على يد باحثين مختلفين منهم: يهوديت ديشون، دافيد سيجل، إيلات إطنجر وصالح خطيب[3]. الأخير هو أحد تلامذتي سابقًا في جامعة حيفا، وهو الوحيد من بين الباحثين الَّذي لم يقتصر بحثه في إطار "الدَّفاتر" العِبْرِيَّة فقط وإنَّما أخذ منحى المقارنة، كما ورد في مقاله: "موضوع الصَّيد في المقامة الخامسة والعشرين للحريزيّ ومقارنة مع شعر الصَّيد العَرَبِيّ". هدفي من خلال هٰذا أن أبحث في "دفتر" الصَّيد من ناحية علاقته بشعر الصَّيد في الشِّعْر العَرَبِيّ القديم والفترة العبَّاسيَّة، وبالأساس من ناحية فكريَّة وأنتروبولوجيَّة من أجل التَّحدِّي لأيّ مدًى وبأيّ حال تأثَّر الحريزيُّ من شعر الصَّيد العَرَبِيّ، وبأيّها حاد عن أسس هٰذا النَّوع الأدبيّ فأتى بجديد مميَّز للشِّعر العِبْرِيّ. هٰذِهِ المقارنة، ستكشف لنا المصادر الأدبيَّة الَّتي تأثَّر بها الحريريُّ عندما كتب مقامة الصَّيد، وتساهم في فهم هٰذا الإنتاج الأدبيّ بشكل معمّق كفصل واحد من مجمل العلاقة بين الشِّعْر العِبْرِيّ والشِّعر العربيّ في القرون الوسطى. حسب معرفتي، فقد ظهر موضوع الصَّيد لمرَّة واحدة في الأدب العبريّ وهو بالعربيَّة "مقامة الصَّياد في وصف فارس يعود للبيداء لتصيُّد الغزلان والظِّباء" [دفتر الصَّياد في وصف الفارس الَّذي يقطع الصَّحراء لصيد الغزلان

[1] قارن رتسابي 1974، ص24.

[2] حول طرق الترجمة لدفاتر إتيئيل انظر: لفئ 1979، 1983، 1984، المقامة الأسدية، السادسة في مقامات الحريري، لا تتلاءم هنا لأن مثال الأسد الموصوف لم يكن نتيجة عملية صيد.

[3] اطنجر 2003، ص44-48؛ ديشون 1986؛ خطيب 2005؛ سيجل 2001، ص224-227، 541-544.

والظِّباء][1]. موضوع الصَّيد أسقط تقريبًا من النَّصِّ العبريِّ المسجَّع[2]. كما ذكر، فإن شعراء إسبانيا اليهود من النِّصف الطَّبيعة، الفلسفة، بعد نشوء مثل هٰذِهِ الأنواع في الشِّعْر العَرَبِيّ في الفترة الأمويَّة وبعدها خاصَّة في الفترة العبَّاسيَّة، إِلَّا أَنَّهُمْ تجاهلوا تمامًا موضوع الطَّرديَّات. وفقط في الرُّبع ٱلأَوَّل للقرن الثَّالث عشر وليس في الموقع الأساسيّ للشِّعر العبريِّ في القرون الوسطى، أي في إسبانيا، وإنَّما في الشَّرق، فقط هناك كُتب إنتاج أدبيٌّ جميل في موضوع الصَّيد لا نجد له مثيلًا حَتَّى في الأدب العربيِّ، ونجده في "دفتر" الصَّيد في كتاب "تحكموني" للحريزيّ[3].

لم يفرد كلٌّ من ي. لفين وي. رتسابي فصولًا في موضوع الصَّيد[4]، وأُشير إلى أَنَّ هٰذا الموضوع لم يدخل إلى الشِّعر العبريّ في القرون الوسطى[5]؛ وَلٰكِنْ يجب أن نشير إلى أَنَّ طودوروس أبو العافية أبو الشِّعر اليهوديّ (1247-1229+م) أدخل إلى موشَّحته موضوع الصَّيد كخرجة عربيَّة، ويمكن التَّخمين أَنَّها مأخوذة من قصيدة عربيَّة مجهولة:

من يصيد صيدا.. فليصد كما صيدي صيدي هو الغزالهْ.. في مراتع الأسدِ

يمكن القول، في كلِّ الأحوال، إِنَّ الإسلام يرى الصَّيد كظاهرة ثابتة وإِنَّ قوانين الصَّيد مذكورة بتوسُّع في الفقه والشَّريعة الإسلاميَّة وحتَّى في القرآن، وأمَّا في اليهوديَّة فَإِنَّ موضوع الصَّيد أهمل جانبًا.

[1] انظر: هبرمان 1972، ص147.

[2] الحريزي 1952، ص231.

[3] حول نص المقام انظر الحريزي 1952، ص231-234. ترجمتها للإنجليزية مع مرافقة للشرح، انظر: سيجل 2001، ص231-234، 541-544.

[4] لفين 1995؛ رتسابي 2007.

[5] انظر: لفين 1963، ص74؛ رتسابي 1974، ص24. وقارن ديشون 1986، ص222، وملاحظات 4، 5.

عمليًّا، فَإِنَّ الصَّيد من الفترة التَّوراتيَّة لم يأخذ حيّزًا مهمًّا في الثَّقافة اليهوديَّة، والشَّخصيَّتان في موضوع الصَّيد كما ورد في (المقرأ) -هو نموذج (בראשית י,ט) עשו[1] – وينظر إليها بشكل سلبيٍّ على أَنَّها ليست من شعب إسرائيل. وحتَّى أَنَّ التَّوراة تعطي أهميَّة في جانب واحد فقط وهو: تغطية الحيوان الَّذي اصطيد وذُبِح[2]. ولا حاجة للقول إنَّ التَّوراة حدَّدت نوع الحيوانات المسموح اصطيادها من أجل الأكل إلى أنواع مخصَّصة فقط[3].

ويمكن القول إنَّ "دفتر الصَّيد" للحريزيِّ يستقي أغلب معاني الصَّيد من شعر الصَّيد العَرَبِيّ، ومثال ذٰلِكَ امرؤ القيس أكبر شعراء العرب وأوَّلهم (500-565م)، أو أبو نواس كبير شعراء الفترة العبَّاسيَّة (762-814م)، وَلٰكِنْ في حقيقة الأمر، كما يظهر لنا يمثّل تجديدًا ليس فقط فيما يخصُّ الشِّعْر العبريَّ في القرون الوسطى، وإنَّما أيضًا تجديدًا يخصُّ الشِّعْر العربيَّ.

ب- موضوع الصَّيد في الحضارة ٱلعَرَبِيَّة والشِّعر العَرَبِيّ

موضوع الصَّيد بشكل عامٍّ في الثَّقافة العربيَّة وفي الشِّعْر العَرَبِيّ بشكل خاصّ، أخذ حيّزًا في الموسوعات الأدبيَّة في القرون الوسطى، منها ما طُبِع مثل "المصائد والمطارد" لكشاجم (ت9\968م) "البيزرة" للعزيز بالله الفاطميّ(955-996م). "انتهاز الفرص في الصَّيد والقنص" للنَّاشري الزُّبيديّ، (اليمن، 1429-1519م) و"الصَّيد والطَّرد عند العرب"[4]، ومنها ما لا يزال في مخطوطات أو أَنَّها ذُكرت في كتابات أُخرى[5]. ونُضيف إلى ذٰلِكَ كتاب "الحيوان" للجاحظ

[1] هناك כה, כח, כז.

[2] ויקרא, יז, יג.

[3] هناك، י״א, א-כג, דברים, יד, ג-כ.

[4] فاطمي 1988؛ كشاجم 1954؛ ناشري 1985؛ حقي 1961.

[5] مثل كتاب "الجوارح والصيد" (ناشري، 1985، ص5؛ أبو خضرة، 1981، ص109-110؛ "الجمهرة في علم البيزرة" لعيسى بن حسان الأسدي و"رسالة في أحكام الصيد" للقاسم بن علي الزبيدي (ت1168/8).

(ت869م). وقد طُبعت في القرن العشرين عدَّة أبحاث مهمَّة في موضوع الصَّيد، كتلك الَّتي كتبها باشا وصالحي[1]، والأخير أفضلها.

بحث معمّق وشامل في موضوع الصَّيد يتحدَّث عنه الباحث علي حسين، من جامعة حيفا، في مقال له عن الصَّيد في الشِّعْر الجاهليّ والفترة الإسلاميَّة الأولى[2]. بحث آخر لم يحظ بالاهتمام الكافي في موضوع الطَّرديَّات كتبه R.B. Serjeant الَّذي يبحث في ثقافة الصَّيد وطقوس الغزلان الجبليَّة (أيايل ibex) في جنوب الجزيرة ٱلعَرَبِيَّة الوثنيَّة، هٰذِهِ الثَّقافة القائمة حَتَّى اليوم في هٰذا المكان. وقد تحدَّث عن هٰذا الأمر الباحث الروسيُّ ميخائيل رودنيوف[3]، وحتَّى أنَّ خيرة الباحثين الغربيّين الَّذينَ اهتمَّوا بالشِّعر العَرَبِيّ في القرون الوسطى عالجوا هٰذا الأمر (الطَّرديَّات)[4]، وحتَّى نُصنِّف "دفتر" الصَّيد للحريزيّ في مكانه المناسب في الأدب العبريّ وعلاقته مع الأدب العَرَبِيّ، نستعرض باختصار تاريخ موضوع الصَّيد في الشِّعْر العَرَبِيّ وخاصَّةً حسب أبحاثه الجديدة والمعمّقة للباحث Stetkevych.

لا نجد الصَّيد في الشِّعْر الجاهليّ موضوعًا مستقلًّا، وإنَّما كجزء من أجزاء القصيدة، وللتَّحديد أكثر هو جزء من ثلاثة أقسام أساسيَّة في القصيدة الجاهليَّة: الرَّحيل، الَّذي يأتي بعد النَّسيب (المطلع الغزليّ)، والفخر الَّذي يأتي بعد موضوع الرَّحيل، وفي هٰذا الجزء، البطل ليس الصَّياد، وإنَّما هي الطَّريدة الَّتي تخرج منتصرة من الصِّراع بينها وبين الصَّياد، الَّذي يُصوَّر على أنَّهُ شخصيَّة مسكينة، وما سلاحه سوى قوس ووتر، يضرب بها الفريسة من وراء تلٍّ، وَلٰكِنْ من دون نتيجة تذكر. فإنْ كانت الطَّريدة بقرة وحشيَّة antelope أو حمارًا وحشيًّا،

[1] باشا، 1979؛ صالحي، 1981.

[2] حسين 2001/1. لقد أفرد حسين جانبا مهما للموضوع في بحثه الدكتوراة تحت إشراف جورج قنازع وألبير أرازي (حسين، 2000).

[3] R.B. Serjeant 1976؛ رودنيوف 1994.

[4] Rex Smith 1990؛ Thomas Bauer 1994؛ Stetkevych 1996، 1999.

فَإِنَّ الصَّياد يستعين بكلاب صيد لاصطياده، وحتَّى هٰذِهِ تفشل في تحقيق هدفها. وَلٰكِنَّها قد تكون أحيانًا غزالًا أو ظبيًا، كما ورد في شعر الحارث بن حِلِّزَة وعبيد بن الأبرص[1].

الفشل في الصَّيد يعكسه شعر ذي الرّمَّة (735-696 م)، شاعر أمويٌّ مهمٌّ، كتب عن الصَّيد كمصدر للطَّعام، إضافة إلى ذٰلِكَ فَإِنَّ نهاية القصيدة الَّتي تتحدَّث عن الصَّيد عند ذي الرّمَّة مُخيِّبة للآمال لِأَنَّ الصَّيَّاد لم ينجح في إصابة الطَّريدة من بين قطيع الظِّباء الَّذي يتبعها فقط، بل إِنَّ الفريسة هي الَّتي خرجت منتصرة، وَذٰلِكَ على طريقة المعنى upside down، وهو نوع من (عدل الشعر/ رأسًا على عقب) حيث يكون فيه المطاردون ضحايا. الظِّباء تهاجم بقرونها كلاب الصَّيد وترديها قتيلة[2].

ويسمِّي Stetkevych موضوع الفشل في الصَّيد الَّذي لم يحقِّق هدفًا The wretched hunter، كما في قصيدة الشَّاعر المخضرم مزرد بن ضرار[3]؛ وحتَّى في قصائد الشَّاعر – البطل، كما في قصيدة امرئ القيس، نجد أَنَّ الكلاب تشارك في عمليَّة الصَّيد[4]، ونشير إلى أَنَّ الموضوع الَّذي تحدَّثنا عنه، أي ليس كلُّ طريدة يتمُّ اقتناصها تظهر في المقامة العاشرة للحريريّ، الرحبيَّة. ونورد هنا المصدر العربيَّ ثُمَّ تليه ترجمة الحريزيّ في "دفاتر إتيئيل"[5].

فاعص من بعدها المطامع واعلمْ أنَّ صيد الظِّباء ليس بِهَيْنِ
لا ولا كلُّ طائر يلج الفخَّ (م) ولو كان محدقًا باللُّجيْن

[1] حسين 2001/2، ص100.

[2] حول شعر الصيد عند ذي الرّمّة انظر: خليف 1997، ص23، 183؛ كومي 1980، ص266-268، 289. انظر Stetkevych 1999، ص116؛ قارن خطيب، ص70/74-74.

[3] Stetkevych 1999، ص114-115 (قارن حسين 2001/2، ص106). وللنظر بتوسع في هذه الصيدة وموضوع الصيد الخاسر انظر هناك، ص109-117، ص124، النصّ العربي لأبيات 63-74 وص110-111، ترجمها للإنجليزية Bauer 1994. وللنظر في موضوع الصيد في الشعر المخضرم انظر: حسين 2001/2، ص91-93، والنصوص المقصودة هناك 134-150.

[4] حسين 2001/2، ص105-107، 131.

[5] الحريزي 1951، ص83.

ولكم من سعى ليصطاد فاصطيـ (م) دَ ولم يلق غير خفَّيْ حُنَيْنِ

(شرح مقامات الحريري- للشَّريشي، ج1، ص 212-213)

ומי יצוד צבי מדח בניבו לבל יט אחרי בצע לבבך

ולו תשים זהב אופרי סביבו ולא כל עוף יהי תוך מצודה

וכמה איש אשר רצה לצודד ונלכר הוא ברשת מחשבו

حسب اطِّلاعي فَإِنَّ هٰذا المكان الوحيد في مقامات الحريريّ الَّذي يذكر فيه موضوع الصَّيد، وهو يذكره كمثل، وليس من منطلق الحديث عن الصَّيد. لا يظهر فشل الصَّيَّاد في اقتناص الطَّريدة وحسب، بل يظهر وَكَأَنَّهُ تجاوز الحدود، كمن ليس له حقٌّ أن يتدخَّل في شؤون هٰذا الحيوان الطَّريد وعالمه. في هٰذا الجزء كان هدف الصَّيَّاد البحث عن الصَّيد كطعام، لذا نجد الأوصاف أكثر واقعيَّة. وكما هو معروف لم يمتنع العرب القدامى عن أكل حيوانات مختلفة.

إِنَّ المصطلحات المعروفة في مجال الصَّيد هي مصطلحات بسيطة "صيد" و"قنص". الطَّريدة ترمز إليها النَّاقة، ركوبة الشَّاعر، وهٰذِهِ الأخيرة تمثِّل روح ومعنويَّات الشَّاعر نفسه. وعلى هٰذا الأساس فَإِنَّ بطولة الحيوان الطَّريد والنَّاقة تمثِّلان رمزًا لوجود الشَّاعر في الصَّحراء، إذ أَنَّ فقدانها يعني فقدان الشَّاعر نفسه، وبقاءها يعني بقاءه. وفقط في قصيدة الرِّثاء، حيث يدور الحديث عن الموت فَإِنَّ هٰذِهِ الطَّريدة يكون مصيرها الموت في نهاية المطاف[1]. وكمثال على موضوع الصَّيد خلال موضوع الرَّحيل في القصيدة، يورد سطاقبيتش أبياتًا شعريَّة مترجمة للإنجليزيَّة للشَّاعر المخضرم ربيعة بن مقروم، ومن معلَّقة الشَّاعر الجاهليّ لبيد بن ربيعة[2].

[1] انظر Stetkevych 1996، ص104، 112-113. حسب كتاب "الحيوان" يشير الجاحظ أنه من غير الممكن أن تنتصر الكلاب في شعر المديح. ويمثل هذا الموضوع جزءا مهما في وحدة القصيدة من ناحية نظرية، ولكن لا نجد مكانا للإطالة عن هذا الموضوع.

[2] Stetkevych 1996، ص106-109.

هٰذا وغيره، فَإِنَّ الجانب الرَّمزي في قتل الحيوانات البرّيَّة الَّتي تمَّ اصطيادها يُعبَّر عنه بشكل مقنع بواسطة شعراء بني هُذيل، وخاصَّةً الشَّاعر المخضرم أبو ذؤيب الهذليُّ[1]. وقد تمَّ بحث هٰذا الموضوع بتوسُّع على يد الباحث علي حسين، وخاصَّةً حسب شعر ساعدة بن جؤية وتلميذه أبي ذؤيب من قبيلة هُذيل[2]، وحسب قوله، اقتداء بشعراء هُذيل أو غيرهم، يفضِّل ساعدة استعمال أسلوب جديد في وصف الحيوانات البرّيَّة الَّتي يتمُّ اصطيادها للتَّعبير عن خوالج النَّفس التَّشاؤميَّة نسبة لقوَّة الموت، والظَّبي -رغم قدرته على تسلُّق رؤوس الجبال العالية- لا يستطيع الفرار من قدره.

خلافًا لما كتبه شعراء آخرون حول الصَّيد، يورد ساعدة أوصافًا تفصيليَّة حول الطَّريدة وحول عمليَّة الصَّيد نفسها، ثُمَّ يصف الطَّريدة في حال السَّكينة قبل اصطيادها. يصف ورودها الماء، مهاجمة الصَّيَّاد لها بمعدَّات صيده، وأخيرًا يصف حالها وهي تتخبَّط في دمها. ويقتفي أبو ذؤيب أثر معلِّمه ساعدة الَّذي يبدأ الموضوع بالحديث عن حال الهدوء والاستقرار لدى الطَّريدة قبل اصطيادها، ومباشرة بعد ذٰلِكَ يصف عمليَّة انقضاض الصَّيَّاد على طريدته. ويفرد أبو ذؤيب وصفًا موسَّعًا للطَّريدة الَّتي تمَّ اصطيادها[3].

يختلف شكل الموضوع تمامًا في الجزء الثَّالث للقصيدة الجاهليَّة. في هٰذا الجزء الَّذي أساسه فخر الشَّاعر. هنا تتحوَّل عمليَّة الصَّيد إلى عمليَّة مطاردة للحيوان، ومن هنا جاء المصطلح "طرد" الَّذي يعني الصَّيد. هنا يكون الصَّيَّاد بطلًا، يركب حصانه، أَمَّا أسلحته فليس القوس والنّبل وحسب، بل نجد أيضًا الرِّماح[4] والنَّبل لا تختفي تمامًا في قصائد الصَّيد هٰذِهِ. هٰكَذا في قصيدة عمرو بن الدَّاخل، إذ نجده بعد المقدِّمة الَّتي يتحدَّث فيها عن محبوبته

[1] Stetkevych 1999، ص113.

[2] انظر حسين 2002، ص114-125، 238-258.

[3] للترجمة الإنجليزية وتحليل نموذج شعري لأبي ذؤيب انظر Layal 2/1921/ ص356-362.

[4] حسين 2001/2، ص108-109. نجد هنا وصفا دقيقا لأدوات الصيد على أنواعها وطريقة استعمالها.

يتحدَّث عن الصَّيد حَتَّى يعزّي نفسه تعويضًا عن فقدانه لمحبوبته، ويصف خلال ذٰلِكَ صوت السَّهم الخارج من القوس فيقارنه بصوت الأمِّ الثَّكلى على ابنها[1]:

كأنَّ عدادها إرنان ثكلى خلال ضلوعها وجد وهيج

في هٰذا الجزء من القصيدة، حيث يظهر عنصر البطولة، حين وصف صيد الحيوانات الكبيرة، مثل الثَّور البرّيّ. هٰذا الوصف لا يشمل الطَّريدة وحسب، بل يصف أيضًا ركوبته للصَّيد –عادةً يكون حصانًا- الَّذي استعمله الشَّاعر لمطاردة صيده، وَكَذٰلِكَ يصف أدوات صيده، وأخيرًا يصف الوجبة الدَّسمة من هٰذا الصَّيد وما رافقها من شرب للخمر[2]. هٰذا ما نجده مثلًا في معلَّقة امرئ القيس "قفا نبك من ذكرى حبيب..." يصف فيها الصَّيد في ثمانية عشر بيتًا 62-80 (رأي آخر 49-66)، يصف خلالها الحصان وقدرته على مطاردة الصَّيد[3]. لقد رأى Stetkevych موضوع الصَّيد في معلَّقة امرئ القيس النَّموذج ٱلأَوَّل والوحدة الموضوعيَّة في موضوع الطَّرديَّات، حيث أصبح موضوعًا مستقلًّا بذاته في الفترة العبَّاسيَّة[4].

[1] هناك، ص107، 109، 137-138.

[2] لوصف مفصّل حول رجوع الصيادين إلى مساكنهم، أجواء اللهو وطقوس وجبة الطعام الفاخرة من الصيد انظر: حسين 2001/2، ص109-111. وحول شرب الخمر في وجبة طعام الصيد انظر: شامي 1997، ص94.

[3] الزوزني 2002، ص7-44؛ حسين 2001/2، ص128-129. للبحث حول ركوبه الصيد في الشعر الجاهلي انظر هناك، ص96-98؛ حاوي 1970، ص170-171؛ شامي 1997، ص95، 100؛ حول ترجمته المعلقات انظر Stetkevych 1993، ص241-254/56-85. يشبه امرؤ القيس سرعة حصانه وقفزه كالظباء التي أذهلها الصياد ورمى عليها سهمه ورمحه. هكذا في قصيدة الصيد "لا وأبيك ابنة عامر (امرؤ القيس 2000؛ ص627، ولها وثبات كوثبات الظباء. حول الترجمة العبرية لوصف حصان الصيد في معلقة امرئ القيس انظر: جورن 1986، ص44-45.

[4] Stetkevych 1996، ص109؛ 1999، ص123. حول وصف الصيد ومتعلقاته حسب قصائد امرؤ القيس انظر: مكي 1979، ص203-229.

ومن المفهوم أَنَّهُ في الجزء المخصَّص عن الفخر لا نجد رمزًا أليجوريًّا حول مصير الطَّريدة[1].

ومثلما حدث في العصور الأولى لظهور الإسلام فيما يخصُّ موضوعات الغزل، الخمر، الطَّبيعة، الفلسفة، هٰكَذا أيضًا أصبح موضوع الصَّيد نوعًا أدبيًّا مستقلًّا وحتَّى أفرد له اسم "الطَّرديَّات" إِلَّا أَنَّ أسلوب القصيدة في الفترة الأمويَّة وأوائل الفترة العبَّاسيَّة يختلف تمامًا عن الشِّعر الجاهليّ، وحسب الـ Sitiz im Leben تغيَّر الصَّيد في الفترة الحديثة قياسًا للفترة القديمة.

لم يعد الصَّيد مصدرًا للبدويّ الفقير، كما ينعكس ذٰلِكَ في وصف الصَّيد في جزء القصيدة الجاهليَّة عن الرَّحيل، وحتَّى ليس بهدف الفخر الشَّخصيّ، وإنَّما أصبح الصَّيد للمتعة، وكجزء من حياة البذخ في القصور. هٰكَذا يُروى عن الخليفة الأمويّ يزيد بن معاوية (680-683م)، أمُّه نصرانيَّة، قد يرى الكثيرون أَنَّهُ لم يكن أهلًا للجلوس على كرسيّ الخلافة، إذ عرف بحبِّه للموسيقى والصَّيد واللَّهو مع الفتيان، الكلاب والقردة. أَمَّا الخليفة هشام بن عبد الملك (724-743م) فقد عيَّن في بلاط قصره مسؤولًا خاصًّا عن الصَّيد.

إِنَّ موضوع الطَّرديَّات هو أبيات شعريَّة في موضوع الصَّيد، تظهر فقط في الفترة الأمويَّة في قصيدتين لشمردل بن شريك اليربوعيّ، الَّذي عاش في نهاية القرن الثَّامن وبداية القرن التَّاسع، حيث يصف رحلات الصَّيد الَّتي هدفها رياضيٌّ بمرافقة كلاب صيد وطيور جارحة[2].

أَمَّا الحصان الَّذي احتلَّ مكانًا أساسيًّا في عمليَّة الصَّيد في الجزء الثَّالث من القصيدة الشِّعريَّة، فقد اختفى تمامًا من الطَّرديَّات، وحلَّ مكانه الطَّائر الجارح المروّض وخاصَّةً طائر

[1] للتمييز الواضح بين البطل في الشعر الجاهلي، مثل امرئ القيس وبين الصياد الخائب انظر: حسين 2001/2، 107-108. أما في شعرنا الحديث فإن موضوع الصيد يوصف بالقسوة اتجاه الطريريدة التي تم اصطيادها.

[2] Stetkevych 1999، ص121-122. النص العربي لواحد من هاتين القصيدتين ص127، وترجمته للإنجليزية في ص121-122.

الباز، وعلى ما يبدو بتأثير الحضارة الفارسيَّة والبيزنطيَّة[1]. أسلوب اللَّهو في الصَّيد تصاعد بشكل أكبر في الفترة العبَّاسيَّة، وكثير من الشُّعراء مثل البحتريّ، أبو نواس، ابن المعتزّ[2]، المتنبّي والصَّنوبريُ، أيضًا كتبوا في هٰذا المجال. وأكثرهم أبو نواس الَّذي رافق اثنين من الخلفاء العبَّاسيّين، هارون الرَّشيد والأمين، في رحلات صيدهما، ويحتوي ديوانه على خمسين قصيدة في الطَّرد[3]، وتنحصر مهمَّة الشَّاعر الصَّيَّاد في هٰذِهِ القصائد كبطل، وتتفرَّع وتتَّسع الأوصاف لفنِّ الصَّيد، ولأصحاب الحيوانات المشاركة فيه. وعلى عكس القصائد في الفترة الجاهليَّة حيث يتفاخر الشَّاعر بحصانه الَّذي يؤدِّي وظيفة مطاردته للصَّيد واصطياده، نجد في الفترة العبَّاسيَّة عمليَّة الصيد تتطوَّر أكثر، فإلى جانب الحصان نجد مهامَّ أخرى للطُّيور الجارحة، منها الصَّقر وَكَذٰلِكَ الكلب[4]. وفي الحقيقة يلعب الكلب دورًا أساسيًّا -وليس صدفة تطوَّرت تربية الكلاب وترويضها للصَّيد- وحتَّى أنَّه وجدت صلة وثيقة بين الكلاب وأصحابها، وقد انعكس ذٰلِكَ بإيجاد أسماء خاصَّة بالكلاب. وقد قال أبو نواس رثاءً في كلب له قد لدغه ثعبان[5]، أمَّا فيما يخصُّ الحيوانات التَّي تَمَّ اصطيادها، فهناك فرق واضح بين الشِّعر الجاهليّ والشِّعر العبَّاسيّ.

[1] حسب رأي باش 1974، ص123 يقول إنها بتأثير الحضارة الفارسية بينما Stetkevych يقول إنها بتأثير الحضارة البيزنطية. قارن الملاحظة 40.

[2] للبحث المفصل في قصائد الصيد عند ابن المعتز انظر: أبو خضرة 1981، ص331-372.

[3] أبو نواس 1953، ص645-669. حول وصف رحلات الصيد وطقوسها في الفترة العباسية انظر: باشا 1974، ص238-240.

[4] حول الكلب في الأدب العربي وأوصافه ووظيفته أثناء الصيد ولأشعار أبي نواس والمتنبي وابن المعتز وشعراء عباسيين آخرين في هذا الموضوع انظر: ناشري 1985، ص116-121، ص285-288؛ شامي 1997، ص99-100؛ حول الباز وطيور صيد أخرى وأشعار هؤلاء الشعراء انظر هناك، ص121-141، 288-296.

[5] انظر: أبو نواس 1953، ص643. للمقارنة بين عناصر جزء الصيد في الشعر الجاهلي والمخضرمين وبين الطرديات العباسية انظر حسين 2001/2، ص119-122.

مراجعات في الكتب